عبدالقاهر الجرجاني

حياته - وآثاره

الدكتور احمد مطلوب

نشأنه وثقافتـه :ـ

هو ابو بكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن بن محمد الجرجاني ، ولـد فى مطلع القرن الخامس للهجرة فى جرجان ، وفى مدينة مشهورة بـين طبرستان وخراسان ، قال عنها ياقوت الحموي ان فيها « مياها كثيرة وضياعاً عريضة وليس بالمشرق بعد ان تجاوز العراق مدينة اجمع ولا اظهر حسناً من جرجان على مقدارها وذلك ان بها الثلج والنخيل وبها فواكه الصرود والجروم واهلهـا يأخذون انفسهم بالتأني والاخـلاق المحمودة .....

ولابي غمر فى وصفها :ـ

هي جنة الدنيـا التي هى سجسج يرضى بهـا المحرور والمقـرور
سـهلية جبليـة بحريـة يحتـل فيهـا منجـد ومغيـر
وكأنـما نوارهـا برياضهـا للمبصريـة سـندس منشـور

وذكر اصحاب السير انه لما فرغ سويد بن مقرن من فتح بسطام فـى سنة ١٨ للهجرة كاتب ملك جرجان ثم سار اليهـا وكاتبه روزبان صول وبادره بالصلح على ان يؤدي الجزية ويكفيه حرب جرجـان وسار سويد فدخلها وكتب لهم كتاب صلح على الجزية وقال ابو نجيد :ـ

دعانا الى جرجان والرى دونهـا سواد فأرضت من بهـا من عشائر

وقال سويد بن قطبة :ـ

الا ابلغ اسيداً ان عرضت باننـــا بجرجان في خضر الرياض النواضر
فلمـا أحسونا وخافوا صيالنـــا أتانا ابن صول راغمـا بالجرائر

وقيل ان اول من احـــدث بناءها يزيد بن المهلب بن ابي صفرة ، وكان الفضل بن سهل قد ولى مسلم بن الوليـــد الشاعر ضياعها وضمنه اياها واقام بها الى ان ادركته الوفاة ومرض مرضه الذى مات فيـه فرأى نخلة لم يكن فى جرجان غيرها فقال :ـ

الا يا نخلة بالسفح مـــن اكناف جرجان
الا انـي وايـــاك بجرجـــان غريبـــان

ثم مات مع تمام الانشاد .(١)

ووقعت جرجان فى القرنين الرابع والخامس فى حوزة الدولـــة الزيارية ثم الغزنوية ثم في أيدي السلاجقـة سنة ٤٣٣هـ ، وكان أشهـر وزراء هذه الدولة الاخيرة نظام الملك ابو علي الحسن بن علي الذى كان محبا للعلم ، وهو الذى امر ببناء المدارس المعروفة بالنظامية .

وقد خرج من جرجان كثير من العلماء والفقهاء والمحدثين والادباء ، وكانت فى القرنين الرابع والخامس تزخر بنشاط علمي واسع المدى ، ويكفي انها انجبت اديبين كبيرين هما .

القاضى على بن عبدالعزيز الجرجانى والامام عبدالقاهر . ان البيئـة التى انجبت هذين العلمين كانت زاخرة بالنشاط العلمى وكانت المـذاهب والعقائد تجد الحرية فى كثير من الاحيان مع ما كان من صراع ســياسى فى القرن الخامس ومن حروب بين الحاكمين . ولكن ما رواه عبدالقاهر عن حالة النحو والبلاغة والشعر فى عصره قد لا يصور الواقع وانما هى زفرة نفثها حينما رأى نفسه غريبا فى وطنه يعيش حياة الزهد التى اتسم

---

(١) معجم البلدان ج ٢ ص ١١٩ وما بعدها .

بها العلماء ممن لم يتصلوا بالولاة والحكام ، فهو لذلك ينعى على عصره عدم الاهتمام باللغة وعلومها ويتحدث عن انصراف الناس عنها . وقد لا يكون هذا خاصا بعصره وانما نجد ذلك فى كل عصر ، وكثيرا ما نسمع مثل قوله من العلماء والادباء ، ونقرأ زهد الناس فى العلم .

بدأ عبدالقاهر الجرجانى كتابه « دلائل الاعجاز » بالحديث عن العلم واهميته فقال : « فانا اذا تصفحنا الفضائل لنعرف منازلها فى الشرف وتبين مواقعها من العظم ونعلم اى احق منها بالتقديم واسبق فى استيعاب استيجاب التعظيم وجدنا العلم اولاها بذلك وأولها هنالك ، اذ لا شرف الا وهو السبيل اليه ولا خير الا وهو الدليل عليه » وذكر اننا لا نجد عاقلا يخالف فيه ولا نرى احدا يدفعه أو ينفيه ، ولكن الناس يختلفون فى المفاضلة بين بعضه وتقديم فن منه على فن .

وقد وصل الامر بهم الى انهم احتقروا البيان مع « انك لا ترى علما هو ارسخ اصلا وأبسق فرعا واحلى جنى وأعذب وردا واكرم نتاجا وانور سراجا من علم البيان » الذى لقى من الضيم ما لقيه ومني من الحيف بما مني به ودخل على الناس من الغلط فى معناه ما دخل عليهم فيه .

وكذلك خيل اليهم ان ليس فى الشعر كثير طائل وانه ليس الا ملحة او فكاهة او بكاء منزل او وصف طلل ، وظنوا ان النحو ضرب من التكلف وباب من التعسف وشىء لا يستند الى اصل ولا يعتمد على عقل .

ويرى ان فى الانصراف عن هذه العلوم ابتعادا عن معرفة اسرار القرآن ومعانيه ، ولذلك عقد فصلا للكلام على الشعر واهميته ، وعلى النحو ومكانته وانتهى الى ان البيان والنحو والشعر عمدة المفسر ووسيلة الدارس فى فهم القرآن الكريم . وقد فصّل القول فى هذه العلوم فى كتبه ، واوضح فضل البيان والشعر ، وردّ ما كان شائعا فى عصره من سوء فهم لها او انصراف عنها .

هذه نظرة عابرة فيما كان عليه العلم فى عصره وكما صوره فى كتبه ، وحينما نرجع اليه لنتحدث عنه نجد المصادر القديمة لا تذكر عنه الا عبارات قليلة لا تكوّن فكرة واضحة مع شهرته فى النحو والبلاغة .

وهذه المصادر لا تذكر مثلا سنة ولادته ولا تتحدث عن اسرته وكل ما تذكره انه « ابو بكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن بن محمد الجرجانى » اما اجداده الاخرون فكأنهم لم يكونوا او يمروا فى هذه الحياة . واغلب الظن انه ولد فى آخر القرن الرابع او مطلع القرن الخامس فى مدينة جرجان من اصل فارسى ولم يبرح بلده ، ولعل سبب ذلك انه كان فقيرا أو لانه كان زاهدا فى الجاه فلم يتصل بالحكام ولم يرحل اليهم . وفى مدينة جرجان الجميلة نشأ كما ينشأ غيره من الصبيان ، ودرس علوم الدين والعربية كما درسها الاخرون ، وقد هيأ الله له علما من اعلام النحو هو ابو الحسين محمد بن الحسين بن محمد بن عبدالوارث الفارسى النحوى ابن اخت ابى علي الفارسى[٢] الذى نزل جرجان واستقر بها واخذ عنه اهلها فضلا كثيرا ،وكان عبدالقاهر احد تلامذته الذين تأثروا به ودرسوا عليه « الايضاح » لابى علي . وقد عني عبدالقاهر بهذا الكتاب ووضع عليه شرحا كبيرا فى ثلاثين مجلدا سماه « المغنى » ثم اختصر هذا الشرح فى ثلاثة مجلدات بكتاب سماه « المقتصد » . وذكر ياقوت الحموى ان عبدالقادر قرأ على القاضى علي بن عبدالعزيز الجرجانى واغترف من علمه ، وكان اذا ذكره فى كتبه تبخبخ – قال بخ بخ – به وشمخ بانفه بالانتماء اليه[٣] ، ونقل السيوطى هذا القول فى بغية الوعاة[٤] . غير ان

---

(١) ينظر نزهة الالباء ص ٢٤٨ ، وفوات الوفيات ج١ ص ١٦٢ ، وانباه الرواة ج٢ ص ١٨٨ ، وج ٣ ص ١١٨ ، وطبقات الشافعية ج ٥ ص ١٤٩ ، وبغية الوعاة ج٢ ص ١٠٦ ، وشذرات الذهب ج ٣ ص ٣٤٠ ، ومفتاح السعادة ج١ ص ١٧٠ .

(٣) معجم الادباء ج٥ ص ٢٩٤ .

(٤) بغية الوعاة ج ١ ص ٩٤ .

الحموى نفسه قال فى ترجمة محمد بن الحسين ابن اخت ابي علي الفارسى ان من تلاميذه « عبدالقاهر وليس له استاذ سواه »[٥] والقول الاخير اقرب الى الصحة لان القاضى الجرجانى مات فى بعض الروايات فى سلخ صفر سنة ست وستين وثلثمائة ، وفى بعضها انه مات سنة اثنتين وتسعين وثلثمائة ، ولا يعقل ان يتصل به عبدالقاهر فى اواخر ايامه .

وقد شك معظم الباحثين فى هذه التلمذة ، فقال الدكتور احمد احمد بدوى : « وانى اشك فيما رواه ياقوت من انه قرأ علي القاضى الجرجانى شيئا ، لان القاضى توفى سنة اثنتين وتسعين وثلثمائة ، فمتى يكون عبدالقاهر قد اخذ عنه ؟ وعبدالقاهر قد توفى سنة احدى وسبعين واربعمائة فاذا كان قد اخذ عن القاضى الجرجانى فلابد ان يكون عبدالقاهر قد ولد قبل وفاته بنحو خمسة عشر عاما على الاقل حتى يستطيع ان يأخذ عن عالم واسع العلم كالقاضى ، ومعنى ذلك ان عبدالقاهر ولد حول سنة سبع وسبعين وثلثمائة فيكون عند وفاته قد أربى على تسعين عاما ولم يشر احد من مؤرخيه الى انه طعن فى السن الى مثل هذا الحد مما يرجح أنّ أخذ عبدالقاهر عن القاضى كان اخذا عن كتبه لا شخصه »[٦] ونجد عبدالقاهر ينقل عن القاضى الجرجانى فى كتابيه « دلائل الاعجاز »[٧] . و « اسرار البلاغة »[٨] ويرجح اراءه ، ولم يشر الى انه جلس اليه يقرأ كتبه او يتلقى العلم عنه .

وذكر الخوانسارى ان عبدالقاهر درس النحو على شيخين آخرين فى قراءة النحو ، قال بعد ان نقل عن بغية الوعاة انه اخذ عن ابن اخت

---

(٥) معجم الادباء ج٧ ص ٣ .
(٦) عبد القاهر الجرجانى ٦-٧ ، والقاضى الجرجانى ص ٢٩-٣٠ .
(٧) ص ٣٣٣ .
(٨) ص ٤٩ ، ١١٥ ، ١٢٠ ، ١٨١ ، ١٨٧ ، ٢١٦ ، ٢٩٧ ، ٣٦٨ .

الفارسى : « وهو غريب ، لان هذا الاحقر مع قلة بضاعته فى هذه الصناعة قد اطلع على شيخين آخرين له فى قراءة النحو وغيره : احدهما ابن جني المشهور ، والثانى الصاحب بن عباد الوزير »[٩] . وهذا غير صحيح لان ابن جني توفى سنة ٣٩٢ هـ ، ومات الصاحب بن عباد سنة ٣٨٥ هـ . وقد تكون دراسة عبدالقاهر لكتبهما لا عليهما . ويشير عبدالقاهر الى شيخه ولكنه لا يذكر اسمه بل يقول مثلا : « قال شيخنا رحمه الله » أو « وأنشدنا شيخنا رحمه الله » او « حكى شيخنا رحمه الله » .

واغلب الظن ان شيخه هذا هو ابن اخت ابي علي الفارسى ، لان ما يرويه عنه يتصل بالنحو قال بعد ان ذكر البيتين :ـ

اعتاد قلبك من ليلى عوائده ... وهاج أهواءَك المكنونة الطلل
ربع قواء اذاع المعصرات به ... وكل حيران سار ماؤه خضل

« قال شيخنا رحمه الله : ولم يحمل البيت الاول على ان الربع بدل من الطلل لان الربع اكثر من الطلل والشيء يبدل مما هو مثله او اكثر منه ، فاما الشيء من اقل منه ففاسد لا يتصور »[١٠] .

ولكن عبدالقاهر لم يقف عند اخذه عن شيخه وانما قرأ الكتب بفكر واع ، ونقل عن الكثيرين ممن اشتهروا باللغة والنحو والبلاغة والادب كسيبويه[١١] ، والجاحظ[١٢] ، والمبرد[١٣] ، وابن دريد[١٤] ،

---

(٩) روضات الجنات ص ٤٤٣ .
(١٠) دلائل ص ١١٢ .
(١١) دلائل ص ٨٤ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ٢٤٧ .
(١٢) دلائل ص ٤٦ ، ٧٦ ، ١٣٠ ، ١٩٣ ، ١٩٧ ، ٢٢٦ ، ٢٤٥ ، ٢٩٨ ، ٣٠٥ ، ٣٦٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩١ . واسرار ص ٩ ، ٦١ ، ١٣٥ .
(١٣) اسرار ص ٥٧ ، ٣٣٢ .
(١٤) اسرار ص ٣٨ .

والعسكري[١٥] ، والمرزباني[١٦] ، والفارسي ، والآمدي[١٨] ، والقاضي الجرجاني[١٩] . وكان ثمرة ذلك الاطلاع والثقافة الواسعة ان تصدر بجرجان وذاع صيته وشدت اليه الرحال وقصده الطلاب ، يقرأون عليه كتبه ويأخذونها عنه وظل مقيما في بلدته يفيد الراحلين اليه والوافدين عليه . ومن تلاميذه يحيى بن علي الخطيب التبريزي ، قال طاش كبرى زاده في ترجمته : « هاجر الى ابى العلاء المعرى واخذ عنه وعن عبيدالله الرقى والحسن بن رجاء بن الدهان وابن برهان والمفضل القصباني وعبدالقاهر »[٢٠] وكان من تلاميذه المذكورين الواردين الى العراق والمتصدرين ببغداد علي بن زيد الفصيحي ، وقد تخرج به جماعة كثيرة واستفادوا منه ما استفاده من عبدالقاهر[٢١] .

ومن تلاميذه ابو نصر احمد بن ابراهيم بن محمد الشجرى ، وقد ذكر القفطي : « قال ابن غياض الشامي الكفر طابى النحوى ونقلته بخطه في تذكرته في آخر نسخة المقتصد لعبدالقاهر الجرجاني بالرى مكتوبا ما حكايته : « قرأ عليّ الاخ الفقيه ابو نصر احمد بن ابراهيم بن محمد الشجرى ـ ايده الله ـ هذا الكتاب من اوله الى آخره قراءة ضبط وتحصيل . وكتبه عبدالقاهر بن عبدالرحمن بخطه في شهر رمضان المبارك من سنة أربع وخمسين وأربعمائة حامداً لربه ومصلياً على محمد رسوله وآله »[٢٢] .

---

(١٥) دلائل ٣٦١ ، واسرار ص ١٠٠ .
(١٦) دلائل ص ١٠ ، ١٢٢ ، ٣٧٠ ، ٣٨٤ ، واسرار ص ١٤٢ .
(١٧) دلائل ص ٢٥٨ .
(١٨) اسرار ص ٣٥٢ ، ٣٧٠ .
(١٩) دلائل ص ٣٣٣ ، واسرار ص ٤٩ ، ١١٥ ، ١٢٠ ، ١٨١ـ١٨٧ ، ٢١٦ ، ٢٩٨ ، ٣٦٨ .
(٢٠) مفتاح السعادة ج ١ ص ٢١٨ .
(٢١) انباه الرواة ج ٢ ص ١٨٩ ، ٣٠٦ ، ونزهة الالباء ص ٢٤٨ ، ٢٥٨ ، وشذرات الذهب ج ٣ ص ٣٤٠ .
(٢٢) انباه الرواة ج٢ ص ١٩٠ .

ومن تلاميذه احمد بن عبدالله المهاباذى الضرير صاحب شرح كتاب اللمع لابن جني[٢٣] .

منزلتـــه :ـ

تلك جوانب من نشأته وثقافته واساتذته وطلابه ، وكان لابد لرجل مثل عبدالقاهر علما ان يحظى بمنزلة عظيمة وان يتصدر مجالس الدرس والعلم ، قال القفطى : « وقرأ ونظر فى تصانيف النحاة والادباء وتصدر بجرجان وحث اليه الرحال وصنف التصانيف الجليلة »[٢٤] . وكان الى جانب علمه عظيم الخلق ، ورعا تقيا ، ويروى انه دخل عليه لص وهو فى الصلاة فأخذ جميع ما فى البيت وهو ينظر اليه ولم يقطع صلاتـه[٢٥] . وكان شافعى المذهب أشعرى الاصول متكلما[٢٦] .

وذكر القفطى انه « كان ـ رحمه الله ـ ضيق العطـن لا يستوفى الكلام على ما يذكره مع قدرته على ذلك[٢٧] » ولكنه استدرك قائلا : « ومع هذا كله فان كلامه وغوصه فى جواهر هذا النوع يدل على تبحره وكثرة اطلاعه[٢٨] ، ويمكن ان نرى ذلك فى كتبه حيث انه يعرض الفكرة عرضا هادئا ثم يقلّب الامر على وجوهه حتى يصل الى النتيجة التى يسعى اليها والهدف الذى يرمى اليه .

وقد اعجب المؤرخون بعلمه وخلقه وادبه ، وقال عنـه معاصره الباخرزى : « اتفقت على امامته الالسنة وتجملت بمكانه وزمانـه الامكنـة

---

(٢٣) معجم الادباء ج١ ص ٢١٧ ، وبغية الوعاة ج١ ص ٣٢٠ وروضات الجنات ص ٤٤٣ .
(٢٤) انباه الرواة ج٢ ص ١٨٨ .
(٢٥) طبقات الشافعية ج٥ ص ١٤٩ ، وطبقات الشافعية للاسنوى ج ٢ ص ٤٩٢ ، وشذرات الذهب ج٣ ص ٣٤٠ .
(٢٦) فوات الوفيات ج١ ص ٦١٣ ، وبغية ج٢ ص ١٠٦ .
(٢٧) انباه الرواة ج٢ ص ١٨٨ .
(٢٨) انباه الرواة ج٢ ص ١٨٩ .

والازمنة ، واثنى عليه طيب العناصر وثنيت به عقود الخناصر فهو فرد فى علمه الغزير لا بل هو العلم الفرد فى الائمة المشاهير • وقد افادنى الشيخ ابو عامر مما القاه بحر الفضل على لسانه ما نطق لسان الدهر باستحسانه • ولست فيما فاتنى من كريم مشاهدته واشتيار لذيذ الشهد من مذكراته ايام أسعدتنى الايام منه بدنو الدار ولف أطناب الخيمتين قرب الجوار الا كمن ودع الماء والخضرة وتدرع الشعثة والغبرة »[٢٩] •

وترجموا له فى مختلف الكتب فقال عنه ابن الانبارى : « فانه كان من اكابر النحويين »[٣٠] وذكره القفطى والسيوطى وابن العماد الحنبلى مع النحاة وذكره السبكى والاسنوى فى طبقات الشافعية وذكرة الباخرزى بين الادباء وذكره ابن شاكر الكتبى فى الاعيان ، وذكره اليافعى وابن تغرى بردي فى المؤرخين •

اما اشتهاره بالبلاغة فلم يتحدث عنه معظم المتقدمين ولم يذكروا له كتابيه المشهورين « دلائل الاعجاز » و « اسرار البلاغة » مع انهم ذكروا جميع كتبه الاخرى • وقد اكتفى السيوطى مثلا بان قال عنه « وكان من اكابر ائمة العربية والبيان »[٣١] ، وقال طاش كبري زاده : « ولو لم يكن له سوى كتاب « اسرار البلاغة » و « ودلائل الاعجاز » لكفاه شرفا وفخرا »[٣٢] •

ولو مضينا نقلب كتب التراجم لاعجبنا انصراف المتقدمين عن بلاغته وادبه وكتابيه اللذين كانا عمدة البلاغة العربية • فابن الانبارى مثلا ذكر انه نحوى وذكر كتابه « اعجاز القرآن » وفعل مثله القفطى غير انه قال

---

(٢٩) دمية القصر ص ١٥٨ •
(٣٠) نزهة الالباء ص ٢٤٨ •
(٣١) بغية الوعة ج٢ ص ١٠٦ ٦
(٢٣) مفتاح السعادة ج١ ص ١٧٠ •

انه عالم بالنحو والبلاغة ولم يذكر دلائل الاعجاز واسرار البلاغة ، وكذلك السبكى وابن تغرى بردى والسيوطى والكتبى واليافعى والاسنوى والذهبى وابن العماد الحنبلى وطاش كبرى زاده والخوانسارى[٣٣] وهذا يدل على انهم لم يلتفتوا الى منزلته البلاغية والنقدية وانما نظروا الى جهوده فى النحو والدراسات القرآنية .

أدبه :-

ليس امامنا من ادب عبدالقاهر غير كتبه ، وهى مؤلفات تطغى عليها النزعة العقلية ولا سيما النحوية منها ، غير اننا حينما نقرأ « اسرار البلاغة » و « دلائل الاعجاز » نحس انه كان كاتبا مقتدرا يعرض الفكرة ثم يناقش الرأى ويصل الى هدفه بعبارات متينة لكنها لا ترقى الى اساليب الكتاب فى عصر ازدهار الكتابة ، وقد دفع ذلك بعضهم الى ان يقول : « ويدل اسلوب عبدالقاهر الجرجانى على مدى ما يعانيه مؤلف عميق الثقافة ، فاسلوبه ذو الجمل الطويلة المتداخلة يصور مدى الكلفة التى يتجشمها مثقفو تلك العصور ومدى اخفاقهم فى احراز عمود اللغة الفصيحة »[٣٤] . وليست هذه خصائص اسلوبه بصورة عامة ، وانما هى صفته حينما يتحدث عن موضوعات تحتاج الى جهد فكرى ونظرة عميقة وجدل عنيف ، وهى موضوعات اعجاز القرآن الكريم والرد على الشبه وافتراءات الطاعنين . اما كلامه فى الاغراض الاخرى فمتين تتمثل فيه الرصانة والعمق مع الاهتمام احيانا بالمحسنات كالسجع والجناس والطباق وغيرها من الفنون الاخرى التى

---

(٣٣) نزهة الالباء ص ٢٤٨-٢٤٩ ، وانباه الرواة ج٢ ص ١٨٨ ، وطبقات الشافعية ج٥ ص ١٤٩ ، والنجوم الزاهرة ج٥ ص ١٠٨ ، وبغية الوعاة ج٢ ص ١٠٦ ، وفوات الوفيات ج١ ص ٦١٢ ، ومرآة الجنان ج ٣ ص ١٠١ ، وطبقات الشافعية للاسنوى ج٢ ص ٤٩٢ ، والعبر ج٣ ص ٢٧٧ ، وشذرات الذهب ج٢ ص ٣٤٠ ، ومفتاح السعادة ج١ ص ١٧٠ ، وروضات الجنات ص ٤٤٣ .

(٣٤) نظرية المعنى ص ٢٠ .

شاعت فى عصره ووقف منها حذرا لا يوليها اهمية كبيرة الا اذا جاءت عفو الخاطر وكانت غير قلقة ولا نابية .

ولعبدالقاهر شعر حفظته كتب التراجم والادب ، وهو قليل لا يدل على شاعرية وغزارة انتاج ، وان كان القفطى يقول « واشعاره كثيرة فى ذم الزمان واهله ، وكان هذا الامر هو السبب فى تقصيره اذا صنف اذ لم يجد راحة ممن جمع لهم والف » (٣٥) . وما بين ايدينا من شعره يؤيد ما قاله القفطى فقد كان أبياً يكره النفاق ويعلن انه لن يغير ما بنفسه يقول :

خلع الناس اهابا ... وتبدوا فى اهاب
وارى نفسي تأبى ... غير ما كان ثيابي
ان اترابا من الما ... ل بلثم للتراب
ليس من خيم الكريم الخيم والمحض اللباب (٣٦)
ليس بالاقبال ما نيل ... بتقبيل الكلاب
ان باغي الربح والخسران في ... باب وباب
تاجر غير بصير ... بمقادير الحساب (٣٧)

وكان يهتم كثيرا باختيار الاصدقاء الذين يعرفون قدر الصديق ، يقول :

ومالك مطمع فى المرء الا ... اذا ما انكر الامر القبيحا
فاما وهو يجهل بين قبح ... وبين الحسن فرقانا صحيحا
فانك فى رجاء الخير منه ... بأجواز الفلاة تكيل ريحا (٣٨)

ويبدو انه حاول الاتصال بمن بيدهم الامور فلم يفلح لانه كان عفاً

---

(٣٥) انباه الرواة ج٢ ص ١٩٠ .
(٣٦) الخيم : الطبيعة والسجية .
(٣٧) دمية القصر ص ١٥٧ .
(٣٨) دمية القصر ص ١٥٩ .

أبي النفس فقال :

لا يوحشنك انهم ما ارتاحوا ... مما جلاه عليهم المداح
فهم كقوم علقت باءزائهم ... بيض المرائي والوجوه قباح(٣٩)

وعلق الدكتور احمد احمد بدوى على هذين البيتين بقوله « ولست ادرى من هؤلاء الذين مدحهم فلم يعنوا بمدحه ، اذ ليس بين يدى من شعره ما مدح به احدا سوى الوزير نظام الملك ابي علي الحسن بن علي وزير السلاجقة ، وكان قد اشتغل بالحديث والفقه وكثيرا ما انفرد بادارة شؤون الدولة ، ويذكر له التاريخ انه اول من انشأ المدارس فى البلاد »(٤٠) .

وقد مدحه عبدالقاهر بشعر منه :ـ

لو جاود الغيث غدا ... بالجود منه اجدرا
او قيس عرف عرفه ... بالمسك كان اعطرا
ذو شيم لوأنها ... في الماء ما تغيرا
وهمة لوأنها ... للنجم ما تغورا
لو مس عودا يابسا ... أورق ثم أثمرا(٤١)

ومن شعره :ـ

لا تأمن النفثة من شاعر ... ما دام حيا سالما ناطقا
فان من يمدحكم كاذبا ... يحسن ان يهجوكم صادقا(٤٢)

---

(٣٩) دمية القصر ١٥٧ .

(٤٠) عبد القاهر الجرجانى ص ١١ .

(٤١) انباه الرواة ج٢ ص ١٨٩ ، وينظر عبد القاهر الجرجانى ص ١١ ، ونظرية عبد القاهر فى النظم ص ٦ .

(٤٢) فوات الوفيات ج١ ص ٦١٣ .

ومنـــــه :

تـــذلل لمن ان تـذللت لـــه يـرى ذاك للفضـل لا للبلـه
وجانب صداقة من لم يـــزل على الاصدقاء يرى الفضل له(٤٣)

وزاد سوء ظنه بزمانه فصاح قائلا :

هـــذا زمـــان ليس فيه ســـــوى النذالـــة والجهاله
لم يـــرق فيه صاعـــد إلا وسلّمُه النذاله(٤٤)

وحينما رأى نفسه فقيرا لا يأبه به أحـد مع ما نـــال من العلـــم والمنزلـة ، قال :ـ

كبّر على العـــلم يا خليلـــي ومل الى الجهل ميـل هـــائم
وعش حمـارا تعش سـعيدا فالسعد فى طالـع البهـائم(٤٥)

وقـــال :ـ

ارخ باثنـــين وخمســـينا فليت شعرى ما قضى فينـــا
نسر بالحـول اذا ما انقضـى وفى تقضيـــه تقضينـا(٤٦).

وقال يشكو الزمان واهلـــه :ـ

أيّ وقت هذا الذى نحن فيـه قـد دجـا بالقيـاس والتشـبيه
كلمـــا سارت العقول لكى تقطـــع تيهـــا توغلت فى تـيه(٤٧).

---

(٤٣) دمية القصر ص ١٠٩ .
(٤٤) دمية القصر ص ١٥٧ .
(٤٥) فوات الوفيات ج١ ص ٦٦٣ ، وطبقات الشـافعية ج٥ ص ١٥٠ ، وطبقات الشافعية للسنوى ج٢ ص ٤٩٢ ، وبغية الوعاة ج٢ ص ١٠٦ وانباه الرواة ج٢ هامش ص ١٩٠ ، وشذرات الذهب ج٣ ص ٣٤١ وروضات الجنات ص ٤٤٣ .
(٤٦) فوات الوفيات ج١ ص ٦١٣ .
(٤٧) انباه الرواة ج٢ ص ١٩٠ .

هذا ما عثرنا عليه فى الكتب التى ترجمت له وتحدثت عنه ، وقد ذكر فى مقدمة كتابه « دلائل الاعجاز » قصيدة نظم فيها فكرته التى فصّلها فى هذا الكتاب وهى نظرية النظم التى ترجع اليها اسرار البلاغة. والقصيدة هى :-

انى اقول مقالا لست أخفيه ... ولست ارهب خصما ان بدا فيه
ما من سبيل الى اثبات معجزة ... فى النظم الا بما اصبحت ابديه
فما لنظم كلام انت ناظمه ... معنى سوى حكم اعراب تزجيه
اسم يرى وهو اصل للكلام فما ... يتم من دونه قصد لمنشيه
واخر هو يعطيك الزيادة فى ... ما انت تثبته او انت تنفيه
تفسير ذلك ان الاصل مبتدأ ... تلقى له خبرا من بعد تثنيه
وفاعل مسند ، فعل تقدمه ... اليه يكسبه وصفا ويعطيه
هذان اصلان لا تأتيك فائدة ... من منطق لم يكونا من مبانيه
وما يزيدك من بعد التمام فما ... سلطت فعلا عليه فى تعديه
هذى قوانين يلفى من تتبعها ... ما يشبه البحر فيضا من نواحيه
فلست تأتى الى باب لتعلمه ... الا انصرفت بعجز عن تقصيه
هذا كذاك وان كان الذين ترى ... يرون ان المدى دان لباغيه
ثم الذى هو قصدى ان يقال لهم ... بما يجيب الفتى خصما يماريه
يقول من اين ان لانظم يشبهه ... وليس من منطق فى ذاك يحكيه
وقد علمنا بان النظم ليس سوى ... حكم من النحو نمضي فى توخيه
لو نقب الارض باغ غير ذاك له ... معنى وصعد يعلو في ترقيه
ما عاد الا بخسر فى تطلبه ... ولا رأى غير غيّ في تبغيه
ونحن ما ان بثثنا الفكر ننظر فى ... احكامه ونروّى فى معانيه
كانت حقائق يلفي العلم مشتركا ... بها وكلاً تراه نافذا فيه
فليس معرفة من دون معرفة ... فى كل ما انت من باب تسميه

ترى تصرفهم فى الكل مطردا يجرونه باقتدار فـى مجاريـه
فما الذى زاد فى هذا الذى عرفوا حتى غدا العجز يهمي سيل واديه
قولوا والا فاصغوا للبيـان تروا كالصبح منبلجا فى عين رائيـه

وفاتـــــه :ـ

ولم يزل عبدالقاهر مقيما بجرجان يفيد الراحلين والوافدين عليـه الى ان توفي سنة احدى وسبعين واربعمائة للهجرة وقيل سـنة اربـع وسبعين واربعمائة ، الموافق سنة **١٠٧٨** أو شباط سنة **١٠٨٢** للميلاد[٤٨] .

آثـــاره

لعبدالقاهر الجرجانى كتب كثيرة فى الدراسات القرآنية والنحويـة والبلاغية وغيرها ، وقد وصل الينا بعضها وضاع البعض الاخر أو ما يزال مجهولا .

الدراسـات القرآنيـة :ـ

١ ـ كتاب شرح الفاتحة : وهو من كتبه التى لا نعلم عنها شـيئا سوى ما قالوا عنه انه فى مجلد[٤٩] . ولم يشر عبدالقاهر او ينقل عنـه فى كتبه التى بين ايدينا . وقد يكون هذا الشرح تطبيقا لنظريته فى النظم او لمنهجه فى التفسير .

---

(٤٨) فوات الوفيات ج١ ص ٦١٣ ، وانباه الرواة ج٢ ص ١٨٩ ، وطبقات الشافعية ج٥ ص ١٥٠ ، وطبقات الشافعية للاسنوي ج٢ ص ٤٩٢ ، والعبر فى خبر من غبر ج٣ ص ٢٧٧ ، وبغية الوعاة ج٢ ص ١٠٦ ، والنجـوم الزاهـرة ج٥ ص ١٠٨ ، ومـرآة الجنـان ج٣ ص ١٠١ ، وشذرات الذهب ج٣ ص ٣٤٠ ، وروضات الجنات ص ٤٤٣ ، وكشف الظنون ج١ ص ٨٣ ، ٢١٢ ، ٦٠٢ ، ٧٥٩ ، وج٢ ص ١١٧٩ ، وتاريخ الادب العربى لبروكلمان (الطبعة الالمانية) ج١ ص ٣٤١ ، والملحق ج١ ص ٥٠٣ .

(٤٩) فوات الوفيات ج١ ص ٦١٣ ، وطبقـات الشـافعية ج٥ ص ١٥٠ ، وشذرات الذهب ج٣ ص ٣٤٠ ، وهدية العارفين ج١ ص ٦٠٦ .

٢ ـ درج الدرر فى تفسير الآى والسور : لم يشر اليه ـ فيما نعلم ـ غير صاحب هديه العارفين[٥٠] ويبدو من اسمه انه اكبر من كتابه السابق وانه يضم السور والايات ويفسرها بحسب رأيه واعتقاده .

٣ ـ المعتضد :ـ وهو الشرح الكبير لكتاب أبي عبدالله محمد بن يزيد الواسطى فى اعجاز القرآن ، وقد سماه بعضهم « اعجاز القرآن » . قال القفطى :ـ « وله اعجاز القرآن دل على معرفته باصول البلاغات ومجاز الايجاز »[٥١] وسماه بعضهم « اعجاز القرآن الكبير »[٥٢] او « الشرح الكبير ».

٤ ـ الشرح الصغير :ـ وهو شرح مختصر لكتاب الواسطى . وهذان الشرحان من كتب عبدالقاهر التى لم تصل الينا ، مثلما لم يصل الينا كتاب الواسطى نفسه ، ويبدو من اهتمامه بالكتاب وشرحه مرتين انه كان على جانب عظيم من الاهمية . يقول الدكتور محمد زغلول سلام : «ولا يبعد ان يكون عبدالقاهر قد تأثر به فى كتابه وخاصة فى دلائل الاعجاز»[٥٣] وهذا فرض لا نستطيع نفيه او اثباته ، لان كتاب الواسطى وشرحى عبدالقادر ضاعت ولانعرف عنها شيئا .

٥ ـ الرسالة الشافية :ـ وهى فى الاعجاز ، وقد طبعت فى كتاب « ثلاث رسائل فى اعجاز القرآن » . وهدف عبدالقاهر فى هذه الرسالة اثبات عجز العرب عن معارضة القرآن ، يقول فى مقدمتها : « هذه جمل من القول فى بيان عجز العرب حين تحدوا الى معارضة القرآن واذعانهم

---

(٥٠) ج١ ص ٦٠٦ .
(٥١) انباه الرواة ج٢ ص ١٨٩ .
(٥٢) طبقات الشافعية ج٥ ص ١٥٠ .
(٥٣) اثر القرآن فى تطور النقد العربى الى آخر القرن الرابع الهجرى ص ٢٣٢ .

وعلمهم ان الذى سمعوه فاتت للقوى البشرية ومتجاوز للذى يتسع لـــه ذرع المخلوقين و فيما يتصل بذلك مما له اختصاص بعلم احوال الشعراء او البلغاء ومراتبهم وبعلم الادب جملة »(٥٤) .

وتعرض لدحض شـبهة الانفـراد بالعظمـة البيانية فى عصر مـن العصـور ، فـلم لا يكون النبى محمد (ص) من هؤلاء المتفـردين بعظمـة البيان ، وقال « واعلم ان ههنا بابا من التلبيس انت تجده يدور فى انفس قوم من الاشقياء وتراهم يومئون اليه ويستهوون الغـر الغبى بذكره وهو قولهم : قد جرت العادة بان يبقى فى الزمان من يفوت اهله حتى يسـلموا له وحتى لا يطمع احد فى مداناته وحتى ليقع الاجماع فيه انه الفرد الذى لا ينازع ثم يذكرون امرأ القيس والشعراء الذين قدموا عـلى من كـان معهم فى اعصارهم وربما ذكروا الجاحظ وكل مذكور بانه كان افضل من كان في عصره ، ولهم فى هذا الباب خبط وتخليط لا الى غاية . ورد عليهم بانهم انما اتوا من سوء تدبرهم لما يسمعون وتسرعهم الى الاعتراض قبل العلم بالدليل . ثم رد على شبهة من زعم ان عجز العرب قد نشأ من انهم لا يستطيعون النظم فى مثل معانى القرآن ، لا لانهم لا يستطيعون مثل ذلك النظم ، ورد بعد ذلك على القائلين بالصرفة ، وهو مذهب طائفة تزعم ان العرب كانوا قادرين على ان يأتوا بمثل القرآن ولكن الله صرفهم عن ان يأتوا بمثله لانهم منعوا من الفصاحة منزلة كانوا عليها قبل نزول القرآن . وقال ان القرآن معجز فى نفسه وانه معجز فى كل زمان وانه وحى من الله ليس شيئا كان على سبيل الالهام ، وذكر ان المعوّل عليـه فى دليـل الاعجاز على النظم وان علم الفصاحة المتعلق بهذا النظم وتمييز بعض الكلام من بعض ليس بالعلم الذى تستطيع ان تفهمه من شئت ومتى شئت بـل

---

(٥٤) ثلاث رسائل فى اعجاز القرآن ص ١٠٧ .

لابد ان تظفر بمن له طبع اذا اريته رأى لان الاصل فى امر الفصاحة هو سبر النفوس واختبارها عند تسمع الكلام • ولكن عبدالقاهر يأسى عندما يرى اهل عصره لا يفطنون الى الروعة فى الكلام وتأثيره فى النفوس ، وليس عندهم القدرة على التمييز بين النظمين بحيث يرون لاحدهما فضلا على الاخر • يقول : « فليس الكلام اذن بمغن عنك ولا القول بنافع ولا الحجة مسموعة حتى تجد من فيه عون لك ومن اذا ابى عليك ابى ذاك طبعه فرده اليك وفتح سمعه لك ورفع الحجاب بينه وبينك فاستبدل بالنفار انسا وأراك من بعد الاباء قبولا »(٥٥) •

ومما يتصل بالدراسات القرآنية كتابه « دلائل الاعجاز » ولكننا آثرنا أن نضمه الى الدراسات البلاغية لانه الصق بها وان كان هدفه خدمة القرآن واظهار انه معجز بنظمه واسلوبه الرفيع •

الدراسات البلاغية :ـ

اهتم عبدالقاهر باسلوب القرآن الكريم ونظمه ، والف كتبه البلاغية ليوضح هذه الفكرة ويرد كثيراً من الشبه التى اثارها الطاعنون فى الاسلام والقرآن • والغريب ان القدماء ـ كما قلنا ـ لم يهتموا فى كتب التراجم والطبقات بمؤلفات عبدالقاهر البلاغية ولا نكاد نجد لها ذكرا الا عند المتأخرين كطاش كبرى زاده صاحب « مفتاح السعادة » ، واما المتقدمون فيشيرون أحيانا الى أنه كان من أكابر أئمة العربية والبيان ، غير أنهم لا يذكرون « دلائل الاعجاز » و « اسرار البلاغة » ولا يعنون بها الا ما كان فى كتب البلاغة كنهاية الايجاز لفخرالدين الرازى ومفتاح العلوم للسكاكى والتبيان فى علم البيان المطلع على اعجاز القرآن لابن الزملكانى والتلخيص والايضاح للخطيب القزوينى وغيرها من كتب الشروح والتلخيص ، وهذه

---

(٥٥) ثلاث رسائل فى اعجاز القرآن ص ١٤٤ •

نظرة من القدماء ، وكأن شهرة عبدالقاهر النحوية غلبت على منزلته الادبية .

وكان كتابا « دلائل الاعجاز » و « اسرار البلاغة » من امهات الكتب العربية التى قامت عليها نهضة العرب الادبية فى هذا القرن . وكان للامام الشيخ محمد عبده فضل السبق الى العناية بهما وتدريسهما فى الازهر الشريف . قال السيد محمد رشيد رضا ـ رحمه الله ـ : « الجامع الازهر هو اول معهد من معاهد التعليم الدينى العربى قرىء فيه دلا ئل الاعجاز واسرار البلاغة درسا لطلاب البلاغة ولاجله طبع الكتابان ، ولكن أحجم علماؤه كلهم بعد الاستاذ الامام عن قراءتهما مع انهما مقرران للتدريس فيه رسميا وقد رأوا تأثيرهما فيمن حضر دروسهما من الطلاب بما ظهر فيهم من الادباء والكتاب ، فالازهر قد نكص على عقبيه بعد الاستاذ الامام وكاد يستبدل الوراء بالامام ... ولا يوجد فى كتب البلاغة العربية مثل كتابى الامام عبدالقاهر فى افادة الحياة »(٥٦) .

وحملت الجامعة دعوة تدريس هذين الكتابين وكان المرحوم أمين الخولى احرص الناس على ان يكونا اساس دراسة البلاغة ، وتمسك بهما الدارسون فى السنوات الاخيرة لانهم وجدوا فيهما اصول احدث النظريات النقدية التى دعا اليها نقاد الغرب .

وقبل ان نتحدث عن الكتابين ينبغى ان نقف لنسأل : ايهما ألف قبل الاخر ؟ وليس فى الكتابين ما يعطى جوابا قاطعا لهذا السؤال ، لان عبدالقاهر لم يصرح بذلك . وقد أتعب الكثيرون انفسهم فى البحث فذهب فريق الى ان « دلائل الاعجاز » أسبق والى ذلك ذهب الاستاذ محمد خلف الله احمد وقال : « وربما رجح الباحث ان كتاب دلائل الاعجاز جاء اولا

---

(٥٦) مقدمة دلائل الاعجاز ص (ك) .

بحكم اهمية موضوعه لدى المؤلف فهو كتاب عام فى النظرية الادبية واتصالها باعجاز القرآن يطرق فيه عبدالقاهر اهم النواحى التى عرفت بعد باسم البلاغة • ولكن أسرار البلاغة بحث خاص يتناول مواضيع الاستعارة والتشبيه والتمثيل فيعالجها على حده • ومن الظاهر ان هذه المسائل البيانية ذات صفة خاصة فى الخلق الادبى وللصور الفنية التى تتدرج تحتها تأثير خاص فى الاذهان والنفوس • ومما يقوى هذا الترجيح اشارة المؤلف فى اكثر من موضوع فى الدلائل الى ان هذه الابواب البيانية محل شبهة كبيرة عند باحثى الفصاحة وانها ابواب ينسب كثير من الناس المزية فيها للفظ • وقد حاول عبدالقاهر ان يحل فكرة النظم محل فكرة اللفظ فى الاعتبار الادبى غير ان جمال الصور الفنية فى هذه الابواب لا ينكشف على اساس فكرة النظم وحدها فكان من الطبيعى ان تبحث بحثا خاصا يؤكد فيه الجانب النفسانى من جمالها وهذا هو موضوع الاسرار • وقد يقال فى تأييد هذا الفرض ايضا ان تأثر عبدالقاهر بالدراسات اليونانية أظهر فى الاسرار منه فى الدلائل ومن الطبيعى والمعقول اذن ان تمثل الاسرار مرحلة فى تفكير المؤلف متأخرة فى الوجود الزمنى عن مرحلة الدلائل »[٥٧] • وايده الدكتور احمد احمد بدوى ونقل أدلته وأضاف اليها أدلة أخرى تؤيد هذه الوجهة وتسندها[٥٨] • وذهب الى هذا الرأى محمد بن تاويت لان فى الاسرار توسعا فى الموضوع أكثر منه فى الدلائل مما يدل على انه ربما ألفه بعد دلائله[٥٩] والدكتور مصطفى ناصيف الذى قال : « وان تكن هذه الاسبقية مسألة لا يمكن ان تحسم بوجه ما تماما على

---

(٥٧) من الوجهة النفسية فى دراسة الادب ونقده ص ١٠٨ •

(٥٨) عبد القاهر الجرجانى ص ٦٦ وما بعدها •

(٥٩) مقدمة دلائل الاعجاز (طبعة المغرب) ج١ ص ٣٧-٣٨ •

عكس ما يتصور الباحثون »[٦٠] .

وذكر الدكتور شوقي ضيف ان الدلائل اسبق من الاسرار لان اراءه في الاخير أدق وأوضح منها في الدلائل ، ولان فيه اراء نفسية لا عهد لنا بها في الدلائل وكأنما تكاملت له اداته في تصوير دقائق التراكيب البلاغية واثرها في النفوس ، ولان عبدالقاهر تراجع في الاسرار عن رأيه في المجاز فقد جعله عقليا كله في الدلائل وجعل بعضه لغويا في الاسرار قال :ـ « واورد عبدالقاهر هذا الرأى في شكل اعتراض على كلامه وانه قدم في سياقه بهذا الكتاب ـ اى الاسرار ـ ما يقتضى ان طريق المجاز كله العقل وان لاحظّ للغة فيه . ويبدأ عبدالقاهر الرد بانه يسلم بان يسلم بان الاستعارة تقوم على ادعاء دخول المشبه في جنس المشبه به ، ولكنه لا يلبث ان يقول ان اساس المجاز فيها هو اجراء الاسم على شيء لم يوضع له في اللغة ، ومن هنا جعل اللغة طريقا له . وفي ذلك دلالة قاطعة على ان هذا الكتاب الفه بعد الدلائل لانه لو كان قد ألفه قبل الدلائل لاورد هذا الاعتراض هناك بشكل اخر ولتساءل عكس هذا السؤال فقال مثلا : كيف نزعم ان المجاز جميعه عقلي وفيه الاستعارة وفيه المجاز القائم على الملابسات المختلفة وهما جميعا لغويان »[٦١] .

وذهب فريق آخر الى ان « أسرار البلاغة » اسبق ، ومنهم الشيخ علي عبدالرازق الذى قال : « نظم في كتابه اسرار البلاغة سمطا منها ثم اردفه بكتاب دلائل الاعجاز متداركا لما أغفل ومفصلا لما اجمل وموضحا لما أبهم »[٦٢] . والدكتور احمد ابراهيم موسى[٦٣] والدكتور محمد

---

(٦٠) الصورة الادبية ص ١١٣ .
(٦١) البلاغة تطور وتاريخ ص ٢١٧ .
(٦٢) أمالى علي عبدالرزاق في البيان وتاريخه ص ٢٣ .
(٦٣) الصبغ البديعى ص ٢٣٥ .

عبدالمنعم خفاجي الذى قال : « وقد الف عبدالقاهر كتابه أسرار البلاغة اولا ثم دلائل الاعجاز ثانيا فهو يحيل فى دلائل الاعجاز على اسرار البلاغة فى غير وضوح وجلاء وهو يستدل بكلمة للامدى فى الاسرار ثم بعد ان ينعم النظر بخطئه فى دلائل الاعجاز »[٦٤] . والدكتور حفنى محمد شرف الذى قال : « واما دلائل الاعجاز فمما هو مقطوع به انه الفه بعد اسرار البلاغة لان الامام عبدالقاهر كثيرا مايعد فى اسرار البلاغة باستيفاء موضاعات اذا بحثنا عنها وجدناها فى دلائل الاعجاز . فمثلا نجده يقول فى اسرار البلاغة : « وأزيدك ان شاء الله كلاما فى الفرق بين ما يدخل فى حيز قولهم : « خير الشعر أكذبه » وبين ما لا يدخل فيه مما يشاركه فى انه اتساع وتجوز فاعرفه . وقد يبر بوعده فى دلائل الاعجاز فى اثناء الحديث عن الشعر وغير ذلك كثير »[٦٥] . وليس دليله صحيحا لان معنى عبارة عبدالقاهر هو الاكثار من الامثلة وتحليلها فى موضوع المجاز بانواعه وهو مما بحثه فى القسم الثانى من الاسرار ، اما حديثه عن الشعر والاسلام وغير ذلك مما ذكره فى مقدمة الدلائل فهو رد على من ينكر الشعر او يقف منه موقفا غريبا وليس بحثا فى صوره واساليبه التى تعتمد على الخيال والمبالغة بحيث يصح ان يقال : « خير الشعر أكذبه » . وقد يكون الدليل على ان الاسرار قبل ما جاء فى الدلائل : « وضربوا له المثل بالملح ـ كما عرفت ـ »[٦٦] . وفى الاسرار نجد هذا المثل ايضا ، ولكن قوله « كما عرفت » لا يدل على ما جاء فى الاسرار وانما هى عبارة يكررها دائما فى كتبه لكى لا يظهر السامع او القارىء جاهلا ، وهو اسلوب متبع عند

---

(٦٤) تمهيد دلائل الاعجاز (طبعة محمد عبدالمنعم خفاجى) ص ٣ ، وعبدالقاهر والبلاغة العربية ص ٣٥ .

(٦٥) مقدمة بديع القرآن ص ٢٧ .

(٦٦) دلائل الاعجاز ص ٦ .

الكثيرين من الكتاب • ومثل ذلك قول عبدالقاهر نفسه : « فرب كلمة بها باطل فاستحق عليها الذم كما عرفت من خبر الخارجي مع علي رضوان الله عليه »(٦٧) • وليس فى الاسرار بحث عن خبر الخارجي مع الامام علي وانما هى عبارة تقال للاهتمام بالقارىء واعطائه قيمة واسباغ العلم عليه •

ان الحديث عن هذا الموضوع قد لا يوصل الى رأى قاطع ، ولكن الادلة ترجح ان الدلائل الف قبل الاسرار لان عبدالقاهر كان فى اول الامر معنيا بالدراسات القرآنية ، وكانت مسألة اعجاز القرآن تشغله كثيرا ، ولذلك شرح كتاب « اعجاز القرآن فى نظمه وتأليفه » لابي عبدالله محمد بن يزيد الواسطى مرتين ، وكتب رسالة فى الاعجاز هى الرسالة الشافية ويعتبر كتاب دلائل الاعجاز تتمة لهذه الحلقة التى بدأها عبدالقاهر، فلا يبعد ان يكون اسبق من الاسرار الذى كان حديثا عن الصور الادبية فى كلام العرب وصلتها بنظرية النظم التى فصل القول فيها فى الدلائل • يضاف الى ذلك انه ختم الدلائل بالحديث عن السجع والتجنيس ثم بدأ كتابه الاسرار بالموضوع نفسه ، كما ان التحليل فى الاسرار اكثر ، والنقد المعتمد على الذوق وتحسس مواطن الجمال فى الكلام اوضح • وهذا مما يرجح ان الدلائل اسبق من الاسرار ، وان الباحث فى بلاغة عبدالقاهر ونقده لابد ان يبدأ بدلائل الاعجاز ليعرف معالم نظرية النظم التى بنى عليها بحوثه البلاغية •

٦ ـ دلائل الاعجاز : كان من افضال الشيخ الامام محمد عبده تطوير مناهج الدراسة فى الازهر الشريف ، وكانت البلاغة مما اصابه ذلك التطور فامر ـ رحمه الله ـ بطبع كتابى « دلائل الاعجاز » و « اسرار البلاغة » ليكونا مادة الدرس البلاغى •

---

(٦٧) دلائل الاعجاز ص ١١ •

طبع كتاب « دلائل الاعجاز » اول مرة سنة ١٣٢١ هـ بعناية السيد محمد رشيد رضا واشراف الامام محمد عبده • وقد تحدث السيد رضا عن ذلك قائلا : « اننى لما هاجرت الى مصر لانشاء مجلة المنار الاسلامى فى سنة ١٣١٥هـ وجدت الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رئيس جمعية احياء العلوم العربية ومفتى الديار المصرية مشتغلا بتصحيح كتاب دلائل الاعجاز وقد استحضر نسخة من المدينة المنورة ومن بغداد ليقابلها على النسخة التى عنده ••• وبعد ان اتم الاستاذ الامام تدريس كتاب اسرار البلاغة فى الجامع الازهر عهد الىّ بان اطبع كتاب دلائل الاعجاز ليقرأه بعده فشرعت فى الطبع وشرع هو فى التدريس »(٦٨) •

وكانت هذه الطبعة اساس الطبعات الاخرى ، فطبعه احمد مصطفى المراغى طبعتين الاولى فى سنة ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ م والثانية اخيرا من غير تاريخ • وطبع فى المغرب العربى بتحقيق الاستاذ محمد بن تاويت فى جزءين ، وصدره بمقدمة طويلة تحدث فيها عن تاريخ البلاغة من الجاحظ الى ابن يعقوب المغربى صاحب « مواهب الفتاح » • ثم طبعه اخيرا الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجى سنة ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م •

وقد سعى عبدالقاهر فى هذا الكتاب الى اثبات ان بلاغة الكلام تكون فى النظم وان القرآن معجز بالنظم لا بالصرفة ، ولذلك نراه يعيد ويكرر الحديث عن النظم ويكثر من الامثلة والشرح ليقرب الفكرة ويقنع بها الناس • بدأه بمدخل تحدث فيه عن معنى النظم ، ثم بفاتحة تكلم فيها على مكانة العلم والبيان والشعر والنحو والفصاحة والبلاغة. وبعد ان وضع الاسس العامة لنظريته شرع يتحدث عنها ويفصّل القول فيها ، وقد دفعه اثباتها وترسيخها الى الكلام على فنون البلاغة المختلفة ولا سيما تلك التى لها تعلق بتركيب الجملة والعبارة كالفصل والوصل

---

(٦٨) دلائل الاعجاز (ط رضا) ص (ز - ح) •

والتقديم والتأخير والحذف والذكر وارتباط الكلام بالحروف والادوات. وكان يعيد الرأى احيانا ، ويعرضه عرضا جديدا احيانا اخـــرى ليقنع الدارسين ، حتى اذا ما بلغ الغاية وظن انه وصل الى هدفه واقنع النـاس بنظريته قال :ـ

« قد بلغنا فى مداواة الناس من دائهم وعلاج الفساد الذى عـرض فى آرائهم كل مبلغ وانتهينا الى كل غاية واخذنا بهم عن المجاهل التـى كانوا يتعسفون فيها الى السنن الاحب ونقلناهم عن الآجن المطروق الى النمير الذى يشفى غليل الشارب ولم ندع لباطلهم عرقا ينبض الا كويناه ولا للخلاف لسانا ينطق الا اخرسناه ، ولم نترك غطاء كان على بصر ذى عقل الا حسرناه . فيا ايها السامع لما قلناه والناظر فيما كتبناه والمتصفح لما دوناه ان كنت سمعت صادق الرغبة فى ان تكون فى امرك عـلى بصيرة ونظرت نظر تام العناية فى ان يورد ويصدر عن معرفة وتصفحت من اذا مارس بابا من العلم لم يقنعه الا ان يكون على ذروة السنام ويضرب بالمعلى من السهام فقد هديت لضالتك وفتح لك الطريق الى بغيتك »(٦٩) . ثم ختم الكتاب بفصل فى الذوق واهميته فى ادراك البلاغة .

لقد كان هدف عبدالقاهر البرهنة على ان القرآن معجز بالنظم ، وان بلاغة الكلام لا ترجع الى الفاظه وانما الى ما بينها من صلة وارتباط ، ولذلك اطال الحديث عن نظريته واستعان بالصور البيانية فى اثباتها . ولم يكن فى ادلائل منهج واضح من حيث الابواب والفصول ، ولذلـك نقـده المعاصرون متخذين من المناهج الحديثه سبيلاً الى ذلك النقـد ، فقـال الدكتور مصطفى ناصف « الكتاب ممزق تتفرق المسالة الواحدة فى اماكن متباعدة »(٧٠) . وقال محمد عبدالمنعم خفاجى : « وعبدالقاهر عـالم لا

---

(٦٩) دلائل الاعجاز ص ٣٦٦ .
(٧٠) النظم فى دلائل الاعجاز ص ١ .

مؤلف ، وحسبك ان كتابه الدلائل صورة مشوهة للتأليف فهو لا يعرف ان يكتب الفكرة فى صفحات مستقلة وانما هو يبدى ويعيد ويأتى من ههنا وههنا ويكرر ويكثر التكرير حتى يخرج الى الهذر ويذكر جزءا من الفكرة هنا وجزءها الاخر هناك »[٧١] . وقال الدكتور احمد احمد بدوى : « يبدو فى كتاب الدلائل تكرير وعدم تركيز الافكار وعدم التقسيم المحكم للابواب غالبا ، وانما هى افكار ترد فيسجلها وربما يكون قد سبق له شرح بعض هذه الافكار او شرح مثيل لها . وكان ينبغى ضم اللاحق الى سابقه او زيادة فى شرح ما سبق له ان شرح »[٧٢] . وقال محمد بن تاويت : « ان صاحبه لم يلتزم فيه تماما طريقة التأليف فقد يتكلم على المسالة ثم يشفعها بما كان قد كتب فيها من ذى قبل او بما قد كتب من مسائل تتصل بها فيبدأ تلك الاشياء بالبسملة ـ كما يفعل الاقدمون ـ او يقول « وهذه مسألة كنت عملتها قديما وقد كتبتها ههنا لان لها اتصالا بهذا الذى صار بنا القول اليه » . فالكتاب يمثل نظريات عاشت مع عمر المؤلف المديد وصب كلها فى هذا الكتاب »[٧٣] . ولا نظن ان الامر كذلك ، فكتاب دلائل الاعجاز كله موضوع واحد او فكرة واحدة ، وقد اجملها عبدالقاهر فى مدخل كتابه بقوله « معلوم ان ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض وجعل بعضها بسبب من بعض » . وشرع يبرهن عليها فى الكتاب كله متخذا لذلك وسائل مختلفة ، منها عرض النصوص وتحليلها ، ومنها الجدل العقلى والمنطق السليم ، ومنها التأثير النفسى والاحساس الروحانى وقد وفق فى ذلك كل التوفيق وأوضح فكرته بعد ان كانت غامضة .

---

(٧١) عبدالقاهر والبلاغة العربية ص ٥٩ .

(٧٢) عبدالقاهر الجرجانى ص ٢٩٨ .

(٧٣) دلائل الاعجاز (طبعة المغرب) ج١ ص ٤٠ .

وقد جمع عبدالقاهر فى هذا الكتاب بين النزعتين العلمية والادبيـــة، ولكن الاولى اكثر وضوحا واشد تأثيرا حينما يناقش ويفند الاراء ، فنراه يكثر من قوله « ان قلتم قلنا ... » و « فان قيل .... قيل » و « كيف لا يكون الامر كذلك مع انه كذا وكذا ..... » و« ما هو الا كـذا وكذا ... » ونحو هذه العبارات التى تتردد فى نقاشه .

أثّر الكتاب فى الدراسات القرآنية والبلاغية ، واتخذه الزمخشرى اساسا فى تفسيره ، كما اتخذه السكاكى اساسا فى علم المعانى .

٧ ـ اسرار البلاغة :ـ وهذا الكتاب صنو الدلائل الذى رأينا اهتمام الامام محمد عبده بهما . وقد طبع اول مرة فى مصر سنة ١٣٢٠ هـ وكتب له ناشره السيد محمد رشيد رضا مقدمة تحدث فيها عن اهتمام الامام به ، وعن فى الطبع وقال متحدثا عن نسخ الكتاب : « ولما هاجرت الى مصر فى سنة ١٣١٥ هـ لانشاء المنار الاسلامى الفيت امام النهضة الاسلامية الحديثة الاستاذ الحكيم الشيخ محمد عبده رئيس جمعية احياء العلوم العربية ومفتى الديار المصرية اليوم مشتغلا فى بعض وقته بتصحيح كتاب دلائل الاعجاز للامام عبدالقاهر الجرجانى وقد استحضر نسخة من المدينة المنورة ومن بغداد ليقابلها على النسخة التى عنده فسألته عن كتاب اسرار البلاغة للامام المذكور فقال :ـ لا يوجـد فى هذه الديار . فاخبرته بان فى احـد بيوت العلم فى طرابلس الشام نسخة منه فحثنى على استحضارها وطبعها فطلبتها من صديقى الحميم العالم الاديب عبدالقادر افندى المغربى وهى مما تركه والده فلبى الطلب وعلمنا ان نسخة اخرى من الكتاب فـى احـدى دور الكتب السلطانية فى دار السلطنة السنية فندبنا بعض طلاب العلم الاذكياء لمقابلة نسختنا بتلك النسخة فخرج لنا من مجموعها نسخة صحيحة شرعنا فى طبعها » ثم قال : « لهذا بادر الامام مفتى الديار المصرية فى هذه الاعوام الى تدريس الكتاب فى الازهر الشريف عقيب شروعنا فى طبعه فاقبـل

على حضور درسه مع اذكياء الطلاب كثيرون من العلمـــاء والمدرســـين واساتذة المدارس الاميرية • وقد قال احد فضلاء هؤلاء الاستاذين بعـــد حضور الدرس الاول : « اننا قد اكتشفنا فى هذه الليلة البيان »[٧٤] •

وقد وضع فى هذه تعليقات مفيدة ، وبعض تراجم فصول الكتاب ، عبدالقاهر كان يكتفى فى كثير منها بكلمة فصل ، وبذلك خدم الامـــام محمد عبده والسيد محمد رشيد رضا بلاغـة عبدالقاهـــر بطبع كتابيـه وتدريسهما في الازهر الشريف •

وطبع الكتاب الاستاذ احمد مصطفـى المراغى فـى مصـــر ســـنة ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م وقدم له بتعريف لعبدالقاهر • وطبعه ايضا هـ • ريتر فى مطبعة وزارة المعارف باستانبول سنة ١٩٤٥ م ، وكتب له مقدمة وتدريسهما في الازهر الشريف •

ويختلف هدف عبدالقاهر فى هذا الكتاب عن هدفه فى الدلائل ، فهو لم يؤلفه لغرض دينى او مسألة تتعلق بالاعجاز وانما الفه لغاية بلاغية ووضع الاصول والقوانين وبيان الاقسام وذكر الفروق بـين العبـــارات والفنون البيانية • وكانت تجمع الكتاب فكرة واضحة هى « ان مقيـاس الجودة الادبية تأثير الصور البيانية فى نفس متذوقها »[٧٥] • وقد وفـق عبدالقاهر فى ابراز هذه النظرية وتوضيحها بعد ان سادت فى عصره كثير من القيم الادبية التى رأى فى كثير منها جنوحا وخروجا على الحقيقة • ولذلك نجد موضوعات علم البيان كالتشبيه والاستعارة والمجـاز تسـود الكتاب وتطبعه بطابعها حتى ذهب بعضهم الى ان اسرار البلاغة فى عـــلم البيان بمفهومه الاخير • وليس الامر كذلك لانه تحدث فيه عن موضوعات

---

(٧٤) اسرار البلاغة ص (ط) وما بعدها •
(٧٥) من الوجهة النفسية ص ١٣٣ •

لا صلة لها بعلم البيان كالسجع والتجنيس والتطبيق وهى من موضوعات علم البديع ، ولكن سيطرة فكرة الصور البيانية هى التى دفعت عبدالقاهر الى التحدث عن التشبيه والاستعارة والمجاز بهذه الصورة المفصلة .

بدأ عبدالقاهر كتابه الاسرار بالحديث عن اللفظ والمعنى وبعض صور البديع كالسجع والتجنيس ثم تكلم على الاستعارة ، وكان عليه ان يبدأ القول فى الحقيقة والمجاز ولكنه عدل عن ذلك قائلا : « واعلم ان الذى يوجبه ظاهر الامر وما يسبق اليه الفكر ان نبدأ بجملة من القول فى الحقيقة والمجاز ونتبع ذلك القول فى التشبيه والتمثيل ثم ننسق ذكر الاستعارة عليها ونأتى بها فى اثرها ، وذلك ان المجاز اعم من الاستعارة والواجب فى قضايا المراتب ان نبدأ بالعام قبل الخاص والتشبيه كالاصل في الاستعارة . وهي شبيهة بالفرع له أو صورة مقتضبة من صوره .

الا ان ههنا امورا اقتضت ان تقع البداية بالاستعارة وبيان صدر منها والتنبيه على طريقة الانقسام فيها حتى اذا عرف بعض ما يكشف عن حالها ويقف على سعة مجالها عطف عنان الشرح الى الفصلين الاخرين فوفى حقوقهما وبيّن فروقهما ، ثم ننصرف الى استقصاء القول فى الاستعارة »(٧٦) .

وهذا المنهج الذى رسمه ولم يطبقه اخذه السكاكى وبنى عليه تقسيم موضوعات علم البيان حين بدأ بالتشبيه والتمثيل والمجاز بانواعه ثم الكناية .

وشرع عبدالقاهر بعد هذا المنهج المحدد بالحديث عن الاستعارة والاثر النفسى الذى تحدثه فى السامع ، وعن الاستعارة فى الفعل والجامع بين طرفيها ، ثم انتقل الى التشبيه والتمثيل وبسط القول فيهما وفرّق

---

(٧٦) اسرار البلاغة ص ٣٥ .

بينهما ووضع اقسامهما وحدد معالمهما • وانتقل الى السرقات وتكلم على المعانى وقسمها قسمين : قسما عقليا واخر تخييليا ، ثم عرج بعد ذلك على تناسى التشبيه فى الاستعارة وقرينتها ، وعاد الى السرقات واتفاق الشاعرين فى معنى من المعانى • وبعد ذلك انتقل الى الحقيقة والمجاز وحذهما فى المفرد وحدّ الجملة فيهما ، واشار الى فنون المجاز واساليبه وختم البحث بما سماه البلاغيون مجاز الحذف •

ان دراسة عبدالقاهر لفنون البلاغة فى هذا الكتاب كانت من أروع ما كتب ، وكانت التفاتاته وتقسيماته الصورة البديعة لهذا الفن ، ومن هنا لا نوافق الدكتور بدوى طبانه حينما قال : « اما كتاب اسرار البلاغة فان اكثر موضوعاته قد سبقت دراستها وعلاجها على نحو ما عند كثير من العلماء والنقاد الذين سبقوا عبدالقاهر »(٧٦) ، لان العبرة ليست فى الموضوعات واسمائها وانما فى طريقة معالجتها ودراستها • وقد اثبت عبدالقاهر ان الفن البلاغى الواحد يمكن ان ينظر اليه من جوانب مختلفة ، وان يحلل تحليلا جديدا يضفى عليه روحا لم يكن يحسها القارىء قبل ذلك • ولا نجد فى كتب البلاغة والنقد السابقة تحليلا كتحليل عبدالقاهر ولا نظرة كنظرته ولا فهما كفهمه ، وان بحث فنونا سبق ان تحدث عنها السابقون ، وهذا هو الفرق بين عالم مجدد وآخر مقلد •

٨ ـ المدخل فى دلائل الاعجاز : وهو مقدمة كتاب دلائل الاعجاز ، وقد افردها المؤلف • ومنه نسخة كتبت سنة ٥٦٨ هـ نقلا عن نسخة بخط عبدالقاهر • وفى معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية نسخة مصورة برقم (٥٤ بلاغة) في ورقات حجم متوسط •

٩ ـ آراء الجرجانى : ومنها نسخة كتبت سنة ٥٦٨ هـ نقلا عن

---

(٧٦) البيان العربى ص ٢٤٧ •

نسخة بخط المؤلف • وفى معهد المخطوطات نسخة مصورة منها برقم (١ بلاغة) فى خمس ورقات حجم متوسط • ولا نعرف ما فى هذه الورقات الخمس لان النسخة المحفوظة فى معهد المخطوطات اصابها التلف ولم تعد صالحة للقراءة ولم نقدر حتى الان ان نحصل على صورة لها من مكتبة حسين جلبى فى تركية •

الدراسات النحوية والصرفية والعروضية :

اشتهر عبدالقاهر بالنحو ولذلك كانت آثاره فى هذا العلم اكثر انتشارا وقد اهتم بها المتأخرون واتخذوا من بعضها اساسا فى التدريس • وكتبه النحوية والصرفية والعروضية التى وصلت الينا او قرأنا عنها هى :ـ

١٠ ـ الايجاز : أعجب عبدالقاهر بكتاب «الايضاح» فى النحو لابي علي الفارسى فاوجزه وشرحه • وكتاب الايجاز مختصر للايضاح ، ذكره الحاج خليفة وقال عنه ان اوله : «الحمد لله الذى تظاهرت علينا آلاؤه»(٧٧) وذكره البغدادى فى هدية العارفين(٧٨) •

١١ ـ المغني : وهو شرح لكتاب الايضاح لابي علي الفارسى فى نحو ثلاثين مجلدا ، ولا نعرف عنه شيئا غير ما اشار اليه القدماء(٧٩) •

١٢ ـ المقتصد : وهو ملخص كتابه « المغنى في شرح الايضاح » فى ثلاثة مجلدات • ولم يعجب هذا الكتاب القفطي فقال عنه : « وهو مقتصد

---

(٧٧) كشف الظنون ج١ ص ٢١١ •
(٧٨) هدية العارفين ج١ ص ٦٠٦ ٦
(٧٩) نزهة الالباء ص ٢٤٩ ، فوات الوفيات ج١ ص ٦١٢ طبقات الشافعية ج٥ ص ١٥٠ ، بغية الوعاة ج٢ ص ١٠٦ ، مرآة الجنان ج٣ ص ١٠١ ، شذرات الذهب ج٣ ص ٣٤٠ مفتاح السعادة ج١ ص ١٧٧ • روضات الجنات ص ٤٤٣ ، كشف الظنون ج١ ص ٢١٢ ، هدية العارفين ج ١ ص ٢٠٦ ، معجم المؤلفين ج٥ ص ٣١٠ ، الاعلام ج٤ ص ١٧٤ •

من مثله ، على ما سماه لم يأت فى الايضاح بشىء له بمقدار ولما تبرع فى التكملة لم يقصر بنسبته الى ما عهد منه فلوشاء لاطال »[٨٠] وذكر ان عبدالقاهر اتمه فى شهر رمضان سنة اربع وخمسين واربعمائة وقرأه عليه من اوله الى اخره قراءة ضبط وتحصيل احمد بن محمد الشجرى[٨١] .

وفى دار الكتب المصرية نسخة خطية من الجزء الثانى من كتاب المقتصد برقم ١١٠٣ .

وفى معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية كتاب لعبدالقاهر باسم « المقتضب » والنصف الاول منه مصور عن نسخة كتبت سنة ٥٩٨ محفوظة فى المكتبة التيمورية برقم (٣٨٤ نحو) وهو فى (١١٣) ورقة (٢٠ × ٣٠) . وفيه المجلد الثانى مصور عن نسخة كتبت سنة ٥٤٧ هـ بخط ابى سعيد عبدالرحمن بن عبدالصمد ، وهى معارضة فى متنها على خط الفارسى وفى شرحها على خط عبدالقاهر ، وهى محفوظة في كوپرلى بتركية برقم ١٤٧٣ و ٢٣٨ ورقة حجم متوسط . والنسختان المصورتان محفوظتان في معهد المخطوطات برقم (١٦٠ و ١٦١ نحو) . ولعل هذا الكتاب هو « المقتصد » لان القدماء لم يذكروا كتابا لعبدالقاهر باسم « المقتضب » ، وقالوا عنه : « المقتصد فى ثلاث مجلدات » او « المقتضد فى شرح الايضاح »[٨٢] .

١٣ ـ التكملة : ذكره القفطى حينما تحدث عن المقتصد وقال : « المقتصد فى شرح الايضاح وهو مقتصد من مثله على ما سماه لم يأت فى

---

(٨٠) انباه الرواة ج ٢ ص ١٨٨ .
(٨١) انباه الرواة ج ٢ ص ١٩٠ .
(٨٢) انباه الرواة ج٢ ص ١٨٨ ، فوات الوفيات ج١ ص ٦١٢ ، طبقات الشافعية ج٥ ص ١٥٠ بغية الوعاة ج٢ ص ١٠٦ ، روضات الجنات ٤٤٣ ، ومفتاح السعادة ج١ ص ١٧٧ ، معجم المؤلفين ج٥ ص٣١٠ ، هدية العارفين ج١ ص ٦٠٦ ، الاعلام ج٤ ٤ ص ١٧٤ .

الايضاح بشيء له مقدار • ولما تبرع في التكملة لم يقصر بنسبته الى ما عهد منه فلو شاء لأطال » ، وسماه الزركلي « التتمة »[٨٣] ومنه نسخة مخطوطة في المتحف البريطاني •

١٤ ـ العوامل المائة : وهو من كتبه المختصرة المتداولة ، بدأه بقوله: « فاعلم انه لابد لكل طالب معرفة الاعراب معرفة مائة شيء ، ستون منها تسمى عاملا وثلاثون منها تسمى معمولا وعشرة منها تسمى عملا واعرابا • فأبين لك باذن الله تعالى هذه الثلاثة على طريقة الايجاز في ثلاثة ابواب :

الباب الاول :ـ في العامل •

الباب الثاني :ـ في المعمول •

الباب الثالث :ـ في الاعراب •

وطبع الكتاب عدة مرات ، واشهر طبعاته المذكورة في « مجموع مهمات المتون » وله مخطوطات كثيرة في دار الكتب المصرية ودار الكتب بالزقازيق في مصر وفي مكتبات العراق وايران والمتحف البريطاني وغيرها • ولكتاب العوامل المائة عدة شروح منها شرح حاجي بابا الطوسي وحسام الدين وحسين التوقاني والمولى احمد بن مصطفى المعروف بطاش كبرى زاده واحمد بن محمد زين بن مصطفى سماه « تسهيل نيل الاماني في شرح عوامل الجرجاني ، أو تسريح الغوامل في شرح العوامل » وهو مطبوع في كتاب « جامع المقدمات » بخط طاهر خوشنويس في طهران وشرحه ايضا ابن الخشاب النحوي البغدادي والقطب الراوندي والمولى محسن المعروف والفاضل الهندي •

ونظمه بعض النحاة ، وعلق عليه السيد الشريف الجرجاني ، وللشيخ بن احمد الجزري تعليقة عليه سماها « الاعراب في ضبط عوامل

---

(٨٣) الاعلام ج٤ ص ١٧٤ •

الاعراب » ونظمه بالتركية محمد بن احمد المعروف بصوفى زاده الادرنوى ، وترجمه الى التركية كمال الدين المدرس[٨٤] .

١٥ ـ الجمل : وهو شرح لكتابه العوامل ، قال القفطى : « وله شرح كتاب العوامل سماه الجمل ثم صنف شرحه فجرى على عادته فى الايجاز »[٨٥] . ويسمى هذا الكتاب « الجرجانية » ايضا ، وهو فى خمسة فصول :ـ الاول فى المقدمات . والثانى فى عوامل الافعال . والثالث فى عوامل الحروف . والرابع فى عوامل الاسماء . والخامس فى اشياء منفردة .

وطبع كتاب الجمل عدة مرات في ليدن سنة ١٩١٧م وكلكته سنة ١٨٠٣ م وبولاق ١٢٤٧ هو وغيرها ، وله مخطوطات كثيرة فى المكتبات العامة والخاصة .

وشرح عدة شروح منها : شرح ابى محمد عبدالله بن احمد بن الخشاب البغدادى (ـ٥٦٧ هـ) سماه « المرتجل » وترك ابوابا من وسط الكتاب لم يتكلم فيها . وشرح ابى محمد عبدالله بن محمد المعروف بابن السيد البطليوسى (ـ٥٢١ هـ) وشرح ابى عبدالله محمد بن جعفر الانصارة البلنسى (ـ٥٨٦ هـ) . وشرح ابى الحسن علي بن محمد المعروف بابن خروف الحضرمى النحوى (ـ٦٠٩هـ) . وشرح احمد بن عبدالمومن الشريشى (ـ٦١٦ هـ) وشرح محمد بن علي الغرناطى (ـ٧١٥ هـ) وغيرها[٨٦] .

---

(٨٤) تنظر بعض شروحه فى كتاب كشف الظنون ج٢ ص ١١٧٩ ، وروضات الجنات ص ٤٤٤ .

(٨٥) انباه الرواة ج٢ ص ١٨٩ .

(٨٦) كشف الظنون ج١ ص ٦٠٢ـ٦٠٣ .

١٦ ـ التلخيص : وهو شرح لكتاب الجمل[٨٧] .

١٧ـ العمدة فى التصريف : وهو كتاب مختصر ، اوله : « قال الشيخ الامام الاجل ابو بكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن الجرجانى : هذه جمل من القول فى التصريف .... » . تحدث فيه عن الافعال الثلاثية والمعتل الفاء والمعتل العين والمعتل اللام والمعتل العين واللام غير المضاعف ، والمعتل العين واللام المضاعف والافعال التى فيها زيادة من الثلاثى . وختمه بفصل « مسألة من الاصول التى يجب حفظها » . والكتاب ما يزال مخطوطا ، ومنه نسخة خطية فى مكتبة لاله لي باستنبول ضمن مجموعة رقمها (٣٧٤٠) ، وفي معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية نسخة مصورة منها برقم (١٥ صرف) .

١٨ ـ كتاب فى العروض : وهو قصيدة تتضمن قواعد الاوزان الشعرية ، وقد طبعت فى ذيل كتاب « الاقناع فى العروض وتخريج القوافى » للصاحب بن عباد سنة ١٣٧٩ هـ ـ ١٩٦٠ م فى بغداد بتحقيق الشيخ محمد حسن ال ياسين . وحاول عبدالقاهر فى ابياتها ان يضبط الاوزان ، فهو يقول فى البحر الطويل :ـ

اتاك الطويل الغض يختال فى العلى ... ويبقى بقاء الدهر ان مات قائل
قريض كحد السيف صعبا عروضه ... فعولن مفاعيلن فعولن مفاعل

وضبط البحور الاخرى بهذه الطريقة .

المتنوعات : ولعبدالقاهر كتب اخرى فى غير الفنون السابقة وهى :

١٩ ـ المختار من دواوين المتنبي والبحترى وابى تمام : وقد عثر

---

(٨٧) نزهة الالباء ص ٢٤٩ ، فوات الوفيات ج١ ص ٦١٣ ، انباه الرواة ج٢ ص ١٨٨ ، طبقات الشافعية ج٥ ص ١٥٠ ، شذرات الذهب ج٣ ص ٣٤٠ .

عليه عبدالعزيز الميمنى فى خزانة حبيب الرحمن خان الشروانى فى قرية حبيب كنج من اعمال عليكره الهند • وهو بخط ابى العلاء بن ابى الفوارس ، وتم نسخه فى عشر ليال بقين من شهر ذى الحجة سنة ثمان واربعين وستمائة وقام الشيخ الميمنى بطبعه فى مجموعة «الطرائف الادبية» وبذلك قدّم خدمة جليلة لعبدالقاهر ، لان هذا الكتاب لا يكاد يعرفه احد• بدأه عبدالقاهر بقوله « هذا اختيار من دواوين المتنبى والبحترى وابى تمام عمدنا فيه لاشرف اجناس الشعر واحقها بان يحفظ ويروى ويوكل به الهمم ويفرغ له البال وتصرف اليه العناية وتعدم فى الدراية وتعمر به الصدور ويستودع القلوب ويعد للمذاكرة ويحصل للمحاضرة ، وذلك ما كان مثلا سائرا ومعنى نادا وكلمة وادبا وقولا فصلا ومنطقا جزلا • وقد اخرجنا من ذلك من هذه الدواوين خيار الخيار وما هو كوسائط العقود واناسى العيون وكسبيكة الذهب والطراز المذهب وبدأنا بشرح المتنبي لان امثاله ومعانيه فيها اغزر ومعارفه فى الحكم والاداب اكثر »[٨٨] •

ويغلب على الكتاب الاختيار ، ولا يكاد عبدالقاهر يتجاوز ذلك الا فى النادر ، وهو يمثل لونا من الوان ثقافته فى اختيار الشعر ونقده •

٢٠ ـ مختار الاختيار في فوائد معيار النظار فى المعانى والبيان والبديع والقوافى ذكره البغدادى[٨٩] ، ولا نعرف ما فيه ولعله الكتاب السابق •

٢١ ـ التذكرة : ذكرها القفطى وقال « وله مسائل منثورة اثبتها فى مجلد هو كالتذكرة له ، لم يستوف القول حق الاستيفاء فى المسائل التى سطرها »[٩٠] • ولم يذكر احد موضوعاتها ، ويستدل الدكتور احمد احمد بدوى من كلام القفطى ان موضوعها يشبه موضوع دلائل

---

(٨٨) الطرائف الادبية ص ٢٠٠ •
(٨٩) هدية العارفين ج١ ص ٦٠٦ •
(٩٠) انباه الرواة ج٢ ص ١٨٩ •

الاعجاز[٩١] .

٢٢ ـ المفتاح : ولم يشر احد الى موضوعاته ، واكتفى اصحاب التراجم والطبقات بذكر اسمه[٩٢] .

تلك صفحات من حياة عبدالقاهر وآثاره ، تحدثنا عنها بما اسعفت المصادر ، اما آراؤه فموطنها كتبه الكثيرة ، وهى آراء اتخذت من التجديد سبيلا ومن الحجة والبرهان دليلا فعرضها وهو مطمئن وتحدى بها اعلام عصره وهو واثق كل الثقة بنفسه .

المصـــــادر

احمد ابراهيم موسى (الدكتور) :

١ ـ الصبغ البديعى فى اللغة العربية . القاهرة ١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٩ .

الاسنوى (جمال الدين) .

٢ ـ طبقات الشافعية . تحقيق عبدالله الجبورى . بغداد (١٣٩٠ هـ ـ ١٩٧٠ م) .

ابن الانبارى (ابو البركات كمال الدين عبدالرحمن بن محمد) :

٣ ـ نزهة الالباء فى طبقات الادباء . تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائى . بغداد ١٩٥٩ .

الباخرزى (ابو الحسن علي بن الحسن) :

٤ ـ دمية القصر وعصرة اهل العصر . مخطوطة دار الكتب المصرية فى القاهرة برقم (٣٣ ش) .

بدوى (الدكتور احمد احمد) :

---

(٩١) عبدالقاهر الجرجانى ص ٦٨ .

(٩٢) فوات الوفيات ج١ ص ٦١٣ ، طبقات الشافعية ج٥ ص ١٥٠ ، وشذرات الذهب ج٣ ص ٣٤٠ .

٥ ـ عبدالقاهر الجرجانى وجهوده فى البلاغة العربية • القاهرة ١٩٦٣م • (سلسلة اعلام العرب) •

٦ ـ القاضى الجرجانى • دار المعارف القاهرة ١٩٦٤ م (سلسلة نوابغ الفكر العربى) •

٧ ـ هدية العارفين ـ اسماء المؤلفين وآثار المصنفين • استانبول ١٩٥١ م •

الاتابكى (جمال الدين ابو المحاسن يوسف بن تغرى بردى) :

٨ ـ النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة • طبعة دار الكتب المصرية •

الجرجانى (عبدالقاهر) :

٩ ـ أسرار البلاغة :

١ ـ تحقيق محمد رشيد رضا • القاهرة الطبعة السادسة ١٣٧٩هـ ـ ١٩٥٩م •

٢ ـ تحقيق احمد مصطفى المراغى ـ القاهرة الطبعة الاولى ١٣٦٧هـ ـ ١٨٤٨م •

٣ ـ تحقيق هـ ـ ريتر استانبول ١٩٥٤ م •

١٠ـ دلائل الاعجاز :

١ ـ تحقيق محمد رشيد رضا ـ القاهرة ١٣٧٢ هـ •

٢ ـ تحقيق محمد بن تاويت • المغرب (فى جزءين) •

٣ ـ تحقيق احمد مصطفى المراغى • الطبعة الثانية ـ القاهرة •

٤ ـ تحقيق محمد عبدالمنعم خفاجى • الطبعة الاولى القاهرة ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م •

١١ـ العمدة فى التصريف • مصورة مخطوطة مكتبة لاله لي باستانبول برقم (٣٧٤٠) المحفوظة فى معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية برقم (١٥ صرف) •

١٢ـ العوامل • مطبوع فى كتاب (مجموع مهمات المتون) • الطبعة القاهرة ١٣٦٩ هـ ـ ١٩٤٩ م •

١٣ـ قصيدة فى بيان العروض • مطبوعة فى ذيل كتاب (الاقناع فى العروض وتخريج القوافى) للصاحب بن عباد • تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين • بغداد الطبعة الاولى ١٣٧٩ هـ ـ ١٩٦٠م •

١٤ـ المختار من دواوين المتنبى والبحترى وابى تمام • مطبوع فى كتاب (الطرائف الادبية) لعبدالعزيز الميمنى • القاهرة ١٩٣٧ م •

الجندى (الدكتور درويش) :

١٥ـ نظرية عبدالقاهر فى النظم • القاهرة ١٩٦٠ •

الحاج خليفة •

١٦ـ كشف الظنون عن اسامى الكتب والفنون • استانبول •

الحموى (ياقوت بن عبدالله) :

١٧ـ معجم الادباء • تحقيق د • س • مرغليوث • الطبعة الثانية القاهرة ١٩٢٣ م •

١٨ـ معجم البلدان • مطبعة صادر ـ بيروت •

الحنبلى (عبدالحي بن العماد) :

١٩ـ شذرات الذهب فى اخبار من ذهب • القاهرة ١٣٥٠ هـ •

خفاجى (محمد عبدالمنعم) :

٢٠ـ عبدالقاهر والبلاغة العربية • الطبعة الاولى ـ القاهرة ١٣٧١هـ ـ ١٩٥٢م •

الخوانسارى (محمد باقر بن الحاجى أمير زين العابدين الموسوى) :

٢١ـ روضات الجنات • طبع حجر •

خوشنويس (طاهر) :

٢٢- جامع المقدمات • طهران •

الذهبي (الحافظ) :

٢٣- العبر في خبر من غبر • تحقيق فؤاد سيد • الكويت ١٩٦١م •

(الزركلي) خيرالدين :

١٤- الاعلام • الطبعة الثانية ـ القاهرة •

السبكي (تاج الدين ابو نصر عبدالوهاب بن علي بن عبدالكافي) :

٢٥- طبقات الشافعية الكبرى • تحقيق محمود محمد الطناحي وعبدالفتاح محمد الحلو • الطبعة الاولى • القاهرة (طبع الجزء الخامس منه في سنة ١٣٨٦ هـ ـ ١٩٦٧ م) •

سلام (الدكتور محمد زغلول) :

١٦- اثر القرآن في تطور النقد العربي الى اواخر القرن الرابع الهجري • الطبعة الاولى ـ دار المعارف ـ القاهرة •

السيوطي (جلال الدين بن عبدالرحمن) :

٢٧- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة • تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم • الطبعة الاولى ـ القاهرة ١٣٨٤ هـ ـ ١٩٦٥ م •

شوقي ضيف (الدكتور) :

٢٨- البلاغة تطور وتأريخ • القاهرة ١٩٦٥ م •

طاش كبرى زاده (احمد بن مصطفى) :

٢٩- مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم • تحقيق كامل كامل بكري وعبدالوهاب ابو النور • دار الكتب الحديثة ـ القاهرة • طبانه (الدكتور بدوي) :

٣٠- البيان العربي • الطبعة الرابعة ـ القاهرة ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨ م •

علي عبدالرزاق :

٣١ـ أمالى علي عبدالرزاق فى علم البيان وتاريخه • القاهرة ١٣٣٠ هـ •

الفطانى (احمد بن محمد زين بن مصطفى) :

٣٢ـ تسهيل نيل الامانى فى شرح عوامل الجرجانى او تسريح الغوامل فى شرح العوامل •

القفطى (جمال‌الدين علي بن يوسف) :

٣٣ـ انباه الرواة على انباه النحاة • تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم • القاهرة ١٣٧١هـ ـ ١٩٥٢ م •

الكتبى (محمد بن شاكر بن احمد) :

٣٤ـ فوات الوفيات • تحقيق محمد محيي‌الدين عبدالحميد • القاهرة ١٩٥١ م •

كحالة (عمر رضا) :

٣٥ـ معجم المؤلفين • دمشق ١٣٧٧ هـ ـ ١٩٥٨ م •

محمد خلف الله احمد (الاستاذ) :

٣٦ـ من الوجهة النفسية فى دراسة الادب ونقده • الطبعة الثانية • القاهرة ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م •

المصري (ابن أبي الاصبع) :

٣٧ـ بديع القرآن • تحقيق الدكتور حفنى محمد شرف • الطبعة الاولى ـ القاهرة ١٣٧٧ هـ ـ ١٩٥٧ م •

مصطفى ناصف (الدكتور) :

٣٨ـ الصورة الادبية • الطبعة الاولى القاهرة ١٣٧٨هـ ـ ١٩٥٨م •

٣٩ـ النظم فى دلائل الاعجاز • بحث نشر فى حوليات كلية الاداب (جامعة عين شمس) المجلد الثالث ـ يناير ١٩٥٥ م •

اليافعى (ابو محمد عبدالله) •

٤٠ـ مرآة الجنان • حيدرآباد الدكن ١٣٣٨هـ •